(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٦٠]

الشيخ: إلى هنا، سبحان الله، والحمد لله.

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، يخبر -سبحانه وتعالى- عن خليلِه إبراهيم، إبراهيمُ -عليه السلام- اتخذَهُ الله خليلًا، خُلَّة أعلى منازِلِ المحبة، اللَّهُ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، واتخذ محمدًا خليلًا، فهما الخليلان -عليهما الصلاة والسلام-، إذن فهما أفضلُ الأنبياء.

يقول الله: اذكُرْ حين قالَ إبراهيمُ، {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى} إبراهيمُ -عليه السلام- يسألُ ربَّهُ أن يريَهُ كيف يُحيي الموتى؟ {أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}؟ قال الله: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ}؟ إبراهيم مؤمنٌ بالله وباليوم الآخر، مؤمنٌ بأنَّ الله قديرٌ على أن يحيي الموتى، كيف وهو خليلُ الله؟ {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى} يعني: بلى أنا مؤمنٌ إيمانًا، أيُّ إيمانٍ! {قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} يريد مزيدًا من الإيمان، والإيمانُ يزيدُ وينقصُ، كما هو مذهبُ أهل السنة والجماعة، الإيمان يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعة، يزيدُ بالتفكُّرِ في آياتِ الله الكونيَّة، والتدبّر لآياتِه الشرعية، الإيمان يزيد وينقص، {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢] {قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} فهو يريد أن يرى هذا عِيانًا، يرى يعني مَيِّتًا ثم يُحييهِ الله.

فاللهُ أجابَه أجابَ طِلْبَتَهُ، {قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ} أربعةً مِن أيِّ أنواع الطيور؟ وهذا مالم يُبيَّنْ لنا -والله أعلم- مِن أيِّ أنواعِ الطيورِ، {أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا} جاء في التفسير أنه ذبَّحَهُنَّ، ذبحَ هذه الطيور وقطَّعَهُنَّ، وجعلَ على كلِّ جبلٍ من الجبالِ التي حوله، جعل على كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، إذن هذه الطيور قد ذُبحتْ وقُطِّعتْ وفُرِّقتْ قال: { ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} ادْعُهُنَّ بأيِّ طريقةٍ بأيِّ لفظ؟ الله أعلم كيف كان ذلك، {ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} يعني إما مشيًا على أرجلِهِنَّ، والطيرُ يطيرُ ويمشي كذلك، الطيرُ يمشي، إذا وقعَ على الأرض يمشي، وكذلك يطيرُ، {يَأْتِينَكَ سَعْيًا} ماشيات -الله أعلم-، أو طائرات -الله أعلمن- وفيه خلافٌ بين أهل العلم بين المفسِّرين، {يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

فهذا نموذجٌ من إحياءِ الله للموتى كما في الآيات السابقة نموذجٌ آخر وهو إحياءُ ذلك الرجل بعد موتِه مئةَ سنة، وإحياءِ حمارِه، وهذا من طُرق القرآنِ في الدَّلالة على إحياءِ اللهِ الموتى والبعثِ، بعثِ الأمواتِ من قبورِهم إلى يومِ الحسابِ، وفي البقرة -كما تقدَّم-، في سورة البقرة نماذجُ متعددةٌ؛ خمسةٌ في أول السورة،

موضعان، {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ} [البقرة:٥٥] وفي الرجل الذي -أيضًا- القتيل الذي أراد الله أن يكشفَ حقيقتَهُ، {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى} [البقرة:٧٣] وفي الآية الثالثةِ في آخر السورة، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} [البقرة:٢٤٣] وهذا كلُّهُ من آيات الله التي يُريها لِمَنْ شاءَ من عبادِه لِيَدُلَّهُم على كمالِ قدرته على كلِّ شيء، ومن ذلك إحياؤُه للموتى، كما قال هذا الرجلُ الذي أماتَه الله مئةَ عام لَمَّا رأى العظام كيف يرتفعُ بعضُها على بعضٍ وتتصلُ بعضُها ببعض، ثم تكتسي لحمًا، {قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:٢٥٩]

طالب: [....] من خاطبه؟

الشيخ: الله أعلم قد يكون..، الله أعلم قد يكون على لسانِ مَلَكٍ، أو الله -تعالى- كما يشاءُ، {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [البقرة:٢٥٩]

الطالب: ابن كثير يقول كلَّمه الله، في تفسير ابن كثير

الشيخ: كذا؟

الطالب: إي نعم

الشيخ: الحمد لله، هذا ظاهر الآية

الطالب: إن الله قد يُكلِّم [....] كلامًا؟

الشيخ: إي، الله أعلم كيف كان هذا التكليمُ لله، المهم أنه خُوطِبَ، ذكرَ تفسيرً آخر..، يعني قولًا آخر؟

الطالب: [....]

الشيخ: راجعتُه، لا، نبيك [نريدك] تقرأه، ما ينفع.